آخر السلطان ان ارضيته اتعبك وان اغضبته اعطبك وكان يقال اذا كنت مع السلطان فكن حذرا منه
عند تقريبه كاتما لسره اذا استسرك وامينا على ما ائتمنك تشكر له ولا تكلفه الشكر لك وتعلمه وكانك تتعلم
منه وتؤدبه وكانه يؤدبك بصيرا باهواه مؤثرا لمنفعته ذليلا ان ضامك راضيا ان اعطاك قانعا ان حرمك
والا فابعد منه كل البعد وقيل لبعض من يخدم السلطان لا تصحبهم فان مثلهم مثل قدر التنور كلما مسه
الانسان اسود منه فقال ان كان خارج تلك القدر اسود فداخلها ابيض وكان يقال افضل ما عوشر به الملوك
قلة الخلاف وتخفيف المؤنة وكان يقال لا يقدر على صحبة السلطان الا من يستقل بما حملوه ولا يلحف اذا
سالهم ولا يغتر بهم اذا رضوا عنه ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه ولا يطغى اذا سلطوه ولا يبطر اذا اكرموه وكان
يقال اذا جعلك السلطان اخا فاجعله ربا وان زادك فزده وقال ابو حازم السلطان سوق يجلب اليه ما ينفق فيه
وكان يقال لا ينبغي لصاحب السلطان ان يبتدئه بالمسالة عن حاله فان ذلك من كلام النوكى واذا اردت
ان تقول كيف اصبح الامير فقل صبح الله الامير بالكرامة وان اردت ان تقول كيف يجد الامير نفسه فقل وهب الله
للامير العافية ونحو هذا فان المسالة توجب الجواب فان لم يجبك اشتد عليك وان اجابك اشتد عليه وكان
يقال صحبة الملوك بغير ادب كركوب الفلاة بغير ماء وكان يقال ينبغي لمن صحب السلطان ان يستعد للعذر
عن ذنب لم يجنه وان يكون آنس ما يكون به اوحش ما يكون منه وكان يقال شدة الانقباض من السلطان
تورث التهمة وسهولة الانبساط اليه تورث الملالة وكان يقال اصحب السلطان باعمال الحذر ورفض الدالة
والاجتهاد في النصيحة وليكن راس مالك عنده ثلاثا الرضا والصبر والصدق واعلم ان لكل شيء حدا فما جاوزه
كان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا فاخذ عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه ذلك
فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا ومكث بينهم ما شاء الله ثم قال الى مفارقكم قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم
ورياض ليست كرياضكم فقال الاكثرون منهم والله ما وجدنا ما نحن فيه حتى ظننا انا لا نجده وما نصنع بعيش خير
من هذا وقال الاقلون منهم الم تعطوا هذا الرجل مواثيقكم وعهودكم بالله لا تعصونه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه
والله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن تبعه منهم وتخلف الباقون فدهمهم عدو شديد الباس عظيم الجيش فاصبحوا
ما بين اسير وقتيل **الاصل** ليس الرؤية مع الابصار فقد تكذب العيون اهلها ولا يغش العقل من استنصحه
الشرح هذا مثل قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي ليس العمى عمى العين بل عمى
القلب كذلك قول امير المؤمنين ع ليست الرؤية مع العيون وانما الرؤية الحقيقية مع العقول وقد ذهب
اكابر الحكماء الى ان اليقينيات هي المعقولات لا المحسوسات قالوا لان حكم الحس في مظنة الغلط وطالما كذب الحس
فاعتقدنا بطريقه اعتقادات باطلة كما نرى الكبير صغيرا والصغير كبيرا والمتحرك ساكنا والساكن متحركا فاما
العقل فاذا كان المعقول به بديهيا او مستندا الى مقدمات بديهية فانه لا يقع فيه غلط اصلا **الاصل** بينكم
وبين الموعظة حجاب من الغرة **الشرح** قد تقدم ذكر الدنيا وغرورها وانها تشبه ولذاتها حجاب بين العبد
وبين الموعظة لان الانسان يغتر بالعاجلة ويتوهم دوام ما هو فيه واذا خطر بباله الموت والفناء وعد
نفسه رحمة الله تعالى وعفوه هذا ان كان ممن يعترف بالمعاد فان كثيرا ممن يظهر القول بالمعاد هو في الحقيقة
غير مستيقن له والاخلاد الى عفو الله تعالى والاتكال على المغفرة مع الاقامة على المعصية غرور لا محالة والحازم
من عمل لما بعد الموت ولم يمن نفسه الاماني التي لا حقيقة لها **الاصل** جاهلكم مزداد ومسوف **الشرح** هذا قريب
مما سلف يقول ان الجاهل من الناس مزداد من جهله مصر على خطيئته مسوف من توهماته وعقيدته الباطلة
بالعفو عن ذنبه وليس الامر كما توهمه ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا **الاصل** قطع العلم عذر المتعللين **الشرح** هذا ايضا قريب مما تقدم يقول قطع العلم
عذر الذين يعللون انفسهم بالباطل ويقولون ان الرب كريم رحيم فلا حاجة لنا الى اتعاب انفسنا بالعبادة

انتجعه

كما قال الشاعر قدمت على الكريم بغير زاد من الاعمال ذا قلب سليم وسوء الظن ان تعتد زادا اذا كان القدوم على كريم
وهذا هو التعليل بالباطل فان الله تعالى وان كان كريما رحيما عفوا غفورا الا انه صادق القول وقد توعد
العصاة وقال وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وقال لا تختصموا لدي وقد قدمت
اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكفي في رحمته وعفوه وكرمه ان يغفر للتائب
او لمن ثوابه اكثر مما يستحقه من العقاب فالقول بالوعيد معلوم بادلة السمع المتظاهرة المتناصرة التي قد
اطنب اصحابنا في تعدادها وايضاحها واذا كان شيء معلوما فقد قطع العلم به عذر اصحاب التعلل والتمني
ووجب العمل بالمعلوم ورفض ما يخالفه **الاصل** كل معاجل يسال الانظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويف **الشرح**
قال الله سبحانه حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها
ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فهذا هو سؤال الانظار لمن عوجل فاما من اجل فانه يعلل نفسه
بالتسويف ويقول سوف اتوب سوف اقلع عما انا عليه فاكثرهم يخترم من غير ان يقلع هذا الامل وتاتيه المنية
وهو على اقبح حال واسوئها ومنهم من تشمله السعادة فيتوب قبل الموت واولئك الذين ختمت اعمالهم بالخاتمة
الخير وهم في العالم كالشعرة البيضاء في الثور الاسود **الاصل** ما قال الناس لشيء طوبى له الا وقد خبا له الدهر
يوم سوء **الشرح** قد تقدم هذا المعنى وذكرنا فيه نكتا جيدة كان محمد بن عبد الله بن طاهر امير بغداد في
قصره على دجلة يوما واذا بحشيش على وجه الماء في وسطه قصبة عليها رقعة فامر باخذها فاذا فيها
تاه الاعيرج واستولى به البطر فقل له خير ما استعملت الحذر احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف
سوء ما ياتي به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر فما انتفع بنفسه
مدة وفي المثل الدهر اذا اتى بسجواء تحنح يعقبها ببكاء زعزع وكذاك شرب العيش فيه تلون بيناه عذب
اذ تحول آجنا يحيى بن خالد اعطانا الدهر فاسرف ثم مال علينا فاجحف فبالنعيم ساعد تمارقابه وجا
بالكفالة والروادف اسحق بن ابرهيم الموصلي هي المقادير تجري في اعنتها فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريش خسيس الحال ترفعه الى السماء ويوما تخفض العالي اذا ادبر الامر اتى الشر من حيث كان ياتي الخير
هانى ابن مسعود ان كسرى علا على الملك النعمان حتى سقاه ام الرقوب كل ملك وان تصعد يوما بانا س
يعود للتصويب اجيحة بن الجلاح وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل وما تدري اذا اضمرت
شولا اتلقح بعد ذلك ام تحيل وما تدري اذا ازمعت سيرا باي الارض يدركك المقيل آخر فما ورق الدنيا
بباق لاهله ولا شدة البلوى بضربة لازم آخر رب قوم غبروا من عيشهم في سرور ونعيم وغدق سكت الدهر
زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق والشعر المنسوب الى محمد الامين بن زبيدة يا نفس قد حق الحذر اين
المفر من القدر كل امرئ مما يخاف ويرتجيه على خطر من يرتشف صفو الزمان يغص يوما بالكدر **الاصل**
وقال ع وقد سئل عن القدر طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق فلا تلجوه وسر الله فلا تتكلفوه **الشرح** قد جاء
في الخبر المرفوع القدر سر الله في الارض وروي سر الله في عباده والمراد نهي المستضعفين عن الخوض في ارادة
الكائنات وفي خلق اعمال العباد فانه ربما افضى بهم الى القول بالجبر لما في ذلك من الغموض وذلك ان العامي
اذا سمع قول القائل كيف يجوز ان يقع في عالمه ما يكرهه وكيف يجوز ان تغلب ارادة المخلوق ارادة الخالق ويقول
ايضا اذا علم في القدم ان زيدا يكفر فكيف لزيد ان لا يكفر وهل يمكن ان يقع خلاف ما علمه الله تعالى في
القدم اشتبه عليه الامر وصار شبهة في نفسه وقوي في ظنه مذهب المجبرة فنهى ع هؤلاء عن الخوض في هذا
النحو من البحث ولم ينه غيرهم من ذوي العقول الكاملة والرياضة القوية والملكة التامة ومن له
قدرة على حل الشبه والتفصي عن المشكلات فان قلت فانكم تقولون ان العامي والمستضعف يجب عليهما النظر
قلت نعم الا انه لا بد لهما من موقف يقفان عنده الى ما ينتهي اليه جهدهما من النظر بحيث يرشدهما الى الصواب و

Copyright … University